المرأة المتعلمة

فى ميدان الحياة المصرية

بقلم السيدة الجليلة هدى شعراوى

زعيمة النهضة النسوية فى مصر

واجب المرأة فى كل مكان وفى كل ناحيـة من نواحى الحياة واجب هام وشاق ، إلا أنه أصبح فى الظروف العصيبة التى يجتازها العالم هـذه الأيام أشد خطرا وأبعـد أثرا منه فى أى وقت مضى . وأخص بالذكر المرأة المتعلمة لأنهـا مع تقديرها للظروف و إدراكها مدى ما يتطلبه الوطن منها ، لا تملك ما للرجل من وسائل التشريع والتنفيذ التى تمكنها من تأدية الواجب المفروض عليها نحو وطنها ونحو المجتمع حسب مقدرتها وحسبما يمليه عليهـا ضميرها . بل كثيرا ما يعرقل الرجل مساعيها فى الاصلاح وفى تقويم ما اعوج من الأمور بسبب انفراده بتسيير دفتها وبمـا يضعه أمامها من موانع لا مسوّغ لهـا ؛ اللهم إلا أنانيته واستئثاره بالسلطة وخوفه من مزاحمتها له فى ميادين الحياة العملية . على أننا نراه فى أوقات الشدّة والمحن يلجأ اليها ملتمسا منها أن تساعده وتشدّ أزره ، ثم ينبذها إذا ما اجتاز مرحلة الضيق . وكذلك كان دأبه عند ما كان طفلا : يهرع إلى أمه كلما خاف من شىء أو زلت به القدم كى تهدئ من روعه وتكفكف من دمعه ، حتى اذا ما ذهب خوفه وآنس فى نفسه الاطمئنان والقوة استغنى عنها ومضى . وقد دلتنا التجارب على أن الرجل مهما كبرت سنه أو علا شأنه هو بعينه ذلك الطفل الذى يحتاج فى جميع أدوار حياته الى تلك اليد الرقيقة وذلك القلب الحنون ، يد المرأة وقلبها ، سواء كانت له أما أو شريكة فى الحياة . لأن المرأة والرجل خلقا ليكوّنا بائتلافهما وتعاضدهما الانسان الاجتماعى الكامل .

من صفات المرأة التضحية والصبر وتقدير المسئولية و إتقان العمل وحسن النظام . و إذا قامت بأى عمل فانمـا تقوم به عن عقيدة و إخلاص لأنها ترى بضميرها وتحكم بقلبها وعقلها فتكون أقرب الى العدل والصواب من الرجل الذى لا يعتمد إلا على عقله وقوته وبطشه . وقد تبينت الأمم الراقية هذه الصفات فى المرأة ففسحت لهـا مجالا رحبا للاشتراك فى ادارة أمورها ، ولولا ذلك ما تسنى للمرأة الغربية فى الظروف العصيبة أن تملأ الفراغ الذى يتركه

الرجل بذهابه الى ساحة القتال . بل لقد كسبت الأوروبية بجدها واجتهادها ثقة الرجل الى درجة سمحت لها بالوقوف بجانبه فى ميادين الحرب حتى فى أكثر البلاد انكارا لحقوق المرأة السياسية كفرنسا وسويسرا وغيرهما من الدول . ولأول مرة فى تاريخ الجيش الفرنسى رؤيت المرأة فى الحرب الأخيرة تشترك فى الوحدات النظامية وهى تلبس الزى العسكرى الكاكى. وفى شهر مايو الماضى قدم المسيو بيير تانجير عضو الشيوخ بباريس والعضو فى لجنة الجيش اقتراحا يرمى الى تجهيز جيش نسائى محلى بفرنسا اقتداء بما يجرى فى انجلترا .

وفى سويسرا ، حيث كانوا يتمسكون بالفوارق الجنسية، أصبحت المرأة تشغل كثيرا من المناصب والوظائف التى أخلاها التجنيد من الرجال . وفى ٢٧ مارس من السنة الحالية صدرت إشارة من " برن " تدل على أن السويسريات سيدعين إلى التطوع فى الجندية فى الخدمة المساعدة للجيش وحتى وقعن التعهد المطلوب أصبحن خاضعات للخدمة الإجبارية أما النساء اللواتى تدربن على العمل فى الفرق الميكانيكية فيتولين فورا قيادة الأقسام فى الخدمة المساعدة برتبة جاويش .

وفى فنلندا، وهى المثل الأعلى للديموقراطية والحضارة، حيث لاتختلف الحقوق والواجبات باختلاف الجنسين وحيث يعمل كل من الرجل والمرأة حسب كفاءته ومقدرته ، منح الدستور المرأة الفنلندية حق الاشتراك فى الدفاع عن الوطن . وكانت نتيجة ذلك أنها رؤيت فى الحرب الأخيرة على الحدود لابسة ثوبها العسكرى البسيط حاملة سلاحها على كتفها ، وهى لم تشغل مركزا بين صفوف الفصائل الصغيرة فقط ، بل لقد امتازت ببسالتها وحسن تصرفها حتى عرفت كيف تحتل مكانها فى هيئة أركان الحرب وبين القواد العسكريين . وقد اشترك بعضهن من القسم الجغرافى والكيميائى فى المباحثات التى دارت لوضع الخطط العامة للدفاع عن أرض الوطن . وبالأمس ضم الجيش الفنلندى جيشا مستقلا من النساء قوامه مائة ألف جندية من مختلف الرتب .

هذه أمثلة مما وصلت إليه المرأة الأوروبية أضربها لا لأدعو إلى تجنيد النساء، بل لتكون موضوع تفكير رجالنا عند ما يوازنون بين مطالبنا المتواضعة وبين ما بلغه شأو أخواتنا الغربيات ، ثم أسائل نفسى بعد ذلك : هل آن لمصر أن تشكل من فتياتها ولو عشر ذلك الجيش الفنلندى لا للذود عن حدود مصر بل ليقوم ذلك الجيش النسائى بمحاربة الأمية ومعالجة أدوائنا الخلقية والاجتماعية والقضاء على روح الرجعية التى تعرقل نهوض المرأة ورقى البلاد ؟

إن نساءنا المتعلمات وإن كان عددهن قليلا لا يتعدى خمسا وثلاثين فى الألف وعملهن لا يزال محدودا بالنسبة لمجموعهن ، جديرات بأن يلعبن دورا خطيرا فى حياة الأسرة المصرية، وأن يقمن بخدمات جليلة للنهضة الحديثة وللمجتمع المصرى خصوصا فى مثل هذه الأوقات

العصبية اذا أولاهن الرجال بعض الثقة وحظين منهم ببعض التشجيع فيما يقمن به من أعمال. وليست الحركة الوطنية ببعيدة عن الأذهان، ولم ينس أحد ما كان لمواقف المرأة فى سنة ١٩١٩ من أثر فعال فى نجاح القضية المصرية و إعلاء سمعة مصر فى الخارج. وما كان لجهودها من نتيجة ظاهرة فى تشجيع المشروعات الوطنية وتنشيط الحركة الاقتصادية فى البلاد. و إنما تقوم به سيداتنا وفتياتنا من حركة التطوع فى جمعية الهلال الأحمر تحت قيادة حضرة صاحبة الجلالة مليكتنا المحبوبة و إرشاد حضرة صاحبة العصمة رئيستهن العـاملة ، واندماج المرأة المصرية المتعلمة فى جمعية الخدمة العامة وجمعيات التعاون والرواد والجمعيات الخيرية وغيرها لمـا يبشر بمستقبل زاهر لمصر بفضل اشتراك المرأة فى ادارة شؤونها و بفضل إخلاصها لوطنها .

وعندى أنه لو وحدت جهود السيدات الفردية وتكاتفت الجمعيات النسائية فى ميادين الاصلاح المنشود لجنت مصر من ثمرات تلك الجهود المشتركة المتضامنة كثيرا من الخير فى قليل من الزمن ، واسرنا بخطوات واسعة نحو تحقيق غاياتنا المنشودة وجنينا من ثمـارها عوضا عما خسرناه فى السنين المـاضية .

وأعتقـد أن من أخطر العلل التى تئن منها مصر والتى ينبغى للمرأة أن تساهم فى علاجها بنجاح، ثلاثة أدواء فتاكة لعلها أقوى أسباب تأخر البلاد وانحطاط الصحة وتدهور الأخلاق وضياع الثروة وهى : الأمية والخمر والميسر وانه لمن العجيب حقا أن نرى أن الأمية بين الطبقات المحرومة ما زالت محتفظة بنسبتها الفاجعة بينما نحاول رفع مستوى التعليم العالى للطبقة الراقية بالإكثار من الكليات فنخلق بذلك هوة عميقة بين الطبقتين المتعاونتين من أبناء الأمة يخشى أن تدفن فيها معظم مجهوداتنا . و إنه لمن المحزن أن نرى بؤر الخمر والميسر تفتح أبوابها على مصراعيها بترخيص رسمى من الحكومة وأن تبقى بيوت الدعارة الرسميـة مفتوحة ونحن فى بلد إسلامى يحرم دينه الخمر والميسر والزنا . وقد تعبت أقلام الكتاب والمصلحين فى علاج مشكلة البغاء، تلك الوصمة القبيحة التى تشوه جبين مصر الناضر وتحط من قدر المرأة وكرامتها . لقد فكرت الحكومات المتعاقبة فى الغائه وشكلت أخيرا لجان فى عهد وزارة على ماهر باشا ذلك الوطنى الغيور والمصلح الكبير للنظر فى القضاء عليـه نهائيا . ثم وقف المشروع فجأة بحجة طروء عوامل استثنائية فى الظروف الحاضرة .

كل هذه النقائص هى من أشـد أدواء الوطن والمرأة على السـواء . فيجب على المرأة المتعلمة أن تبذل جهدها فى محاربتها محاربة جدية بكل ما أوتيت من قوة وعدة ومال . ويجدر بها أيضا ان تعمل ما استطاعت على مكافحة التواكل والكسل ، والبدع والخرافات ، وتخفيف وطأة الأمراض الخطيرة التى تذاب بخاصة طبقة الفلاح كالبلهارسيا والانكلستوما والرمد الصديدى وغير ذلك من الأمراض ، الموروثة منهـا والمكتسبة ، التى

تفتك بالكثيرين من أبناء هـذا الشعب المسكين فتكا ذريعا . وبذلك يمكنها أن تنشئ جيلا صحيح الجسم سليم العقل قويم الأخلاق ، وما الأمم إلا مجموعة أفراد تصلح بصلاحهم وتفسد بفسادهم . وما رأينا أمة معمرة إلا على أساس الخلق المتين ، وقد صدق شوقى بك — رحمه الله — إذ قال :

كذا الناس بالأخلاق يبقى صلاحهم ويذهب عنهم أمرهم حين تذهب

* * *

المرأة والطفل عنصران هامان فى حياة كل أمة ، والعناية بهما ركن من أهم أركان تقدم الأمم ورقيها ، ولا جدوى من اختصاص أحدهمـا بالعناية دون الآخر ، إذ لا يمكن التفريق والفصل بينهما ، وكل مجهود فى سبيل الإصلاح يعتبر ضائعا إذا أهمل شأن هذين العنصرين ، فالطفل هو المستقبل والأم هى دعامة هذا المستقبل ، وعلى هذين العنصرين الحيويين للوطن تعتمد مصر لانتشالها من حالة التأخر والفوضى التى سادتها حقبة طويلة من الزمان .

لقد كانت المرأة فى بلادنا الى عهـد قريب تعتبر منذ ولادتها ضيفا ثقيلا على الأسرة أو عضوا موقوت الإقامة سوف يغادرها إلى أسرة أخرى ، وإذا ما دخلت بيت الزوجية اعتبرها زوجها متاعا قابلا للتغيير والتبديل ، وبنى معاملته لها على هذا الاعتبار . وفى فوضى الطلاق حتى اليوم ما لا يحتاج إلى شرح أو تفصيل ، إذ تعيش المرأة مهددة فى حياتها غير مطمئنة على مستقبلها ، ولا قادرة على إثبات وجودها فى المجتمع الذى تعتبر فيه عضوا أشل لا قيمة له فى الحياة العمليـة . فيا ليت شعرى هل من كان هـذا شأنها فى بيت أبيها وكانت تلك حالتها فى بيت زوجها وكان ذلك مركزها فى الهيئة الاجتماعية ، تستطيع أن تؤدى الرسالة الجليلة التى يتطلبها الوطن منها كزوجة صالحة وأم مهذبة ومربية قديرة وعضو عامل فى المجتمع ؟

لذلك وجب على المرأة المتعلمة الشرقية عامة والمصرية خاصة أن تقتحم كل عقبة تعترض سبيلها فى تكوين شخصيتها واتخـاذ مكانها اللائق بها فى المجتمع والمتناسب مع الوظيفة النبيلة التى خلقت من أجلها سيما وأن التطور قد عبـد لها هذا الطريق فأصبح من الميسور عليهـا أن تسلكه بخطوات واسعة ونفس مطمئنة .

ومن أهم المسائل التى يجب على المرأة السعى لعلاجها :

(أولا) مكافحة فوضى الطلاق الناشئة عن عدم تقدير قدسية الرابطة الزوجية واحترامها ويرجع ذلك الى الجهل وعدم متانة الأخلاق .

(ثانيا) وضع حدّ لتعدد الزوجات وذلك بألا تقبل المرأة الزواج من أى رجل متزوج إلا اذا كان هناك عذر قاهر يبرر زواجها به حتى يصبح هذا مبدءا من مبادئ المرأة المسلمة ما دام بعض الرجال ما زال متمسكا به كحق شرعى له لا يتنازل عنه رغم ما يسببه تعدد الزوجات من تفكك الأسرة وتنافر أفراد العائلة الواحدة ورغم قوله تعالى " فإنْ خِفْتُمْ ألاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً " والعدل بين الضرائر مستحيل .

(ثالثا) معالجة أزمة الزواج الوهمية التى خلقتها دعاية الرجعيين وكان لها أسوأ الأثر فى نفوس بعض الشبان فعدّها المصلحون إحدى المشاكل المعقدة وحارت فى حلها أقلام الكتاب فعزا بعضهم أسبابها الى السفور والتبرج ، وقال البعض الآخر إنها من نتائج طفرة التطور الحديث وسوء تصرف بعض الفتيات الطائشات فى الحرية التى نلنها . وسأبين لحضراتكم خطأ هذا الزعم بالاحصاء الاتى :

فى سنة ١٩٢٧ كان عدد النساء المتزوجات ٢,٨٩٦,٥١٢ وفى سنة ١٩٣٧ بلغ عددهن ٣,١٢٣,٠٣٤ ، أى بزيادة ٢٢٦,٥٢٢ وفى سنة ١٩٢٧ كان عدد الرجال المتزوجين ٢,٧٨٩,٨٧٢ وفى سنة ١٩٣٧ بلغ عددهم ٣,١٠٨,٦١١ أى بزيادة ٣١٨,٧٣٩

ومن هذا الإحصاء البسيط يتبين أن عدد المتزوجين والمتزوجات قد زاد فى سنة ١٩٣٧ على عددهم فى سنة ١٩٢٧ ومع أن هذا الفرق قد يعزى الى تكاثر عدد السكان فانه يدل على عدم وجود أزمة زواج .

وإنى مع ذلك أنتهز هذه الفرصة فأنصح فتياتنا الناهضات أن يتحلين بالفضيلة ، وأن يربأن بأنفسهن عن مواطن الشبه ومسالك الزلل ومثار القيل والقال ، وأن يحسنّ التصرف فى الحرية التى جاهدنا فى سبيلها من أجلهن وأن يتحرزن من التقليد الأعمى ولا يقتدين بأخواتهن الغربيات إلا فيما ينفع و يشرف ، ليضمن حدّا لهذه الحرب الشعواء التى يشنها عليهن الرجعيون الذين يتهزون كل فرصة للحط من كرامة الفتاة المصرية المسلمة . وليتذكرن أن الحرية التى يتمتعن بها الآن لم تعط لهن عبثا ليبذلنها فى اللهو واللعب فقط فنحن إنما ناضلنا من أجل هذه الحرية لكى يخرجن إلى ميادين العمل و يعملن لإصلاح الوطن وليتبوّأن المركز اللائق بهن بين نساء الأمم الراقية المتحدة ، لأنها الوسيلة الوحيدة التى تصل بهن إلى هذه الغاية ، فعلى المرأة المصرية أن تبرهن على أنها كانت جديرة بهذه الحرية فيما تقوم به من خدمات لوطنها وقومها . وأمامها الحياة الاجتماعية فسيحة الأرجاء وقد تفتحت فيها أبواب عدّة للنشاط العلمى والفكرى والأدبى والرياضى والإنسانى بفضل المشروعات الإصلاحية الواسعة النطاق التى قام بدرسها وتنظيمها المصلحون فى بلادنا وقد وفقوا — ولله الحمد —

إلى إخراج هـذه المشروعات النافعة من حيز التفكير إلى حيز التنفيذ حتى اقتنعت الحكومة بالفوائد العظيمة التي تجنيها البلاد من وراء هـذه المشروعات فقامت تشجعها بكل أنواع المساعدة .

وقد كان فى الخطبة التى أذاعهـا حضرة صاحب السعادة الأستاذ عبد الخالق حسونه بك وكيل وزارة الشؤون الاجتماعية ونشرتها له هذه المجلة شرح واف لهذه المشروعات ولمـا تقوم به الحكومة من مساعدة أدبية ومادية فى سبيلها ، وما تنظمه من دعاية لحث المصريين جميعا رجالا ونساء على مساعدة هذه الحركة المباركة . ولا حاجة بى إلى تكرار ما شرحه سعادته من أعمالها ولا ما سرده من إحصائيات سارة مشجعة ، و إنى لأضم صوتى إلى صوته حاثة مواطنى الأعزاء أن يقدموا ما فى وسعهم من مساعدات لهذه النهضة المحمودة الدفعة التى لا شك ستخطو بالبلاد خطوات واسعة سريعة نحو التقدم والفلاح ، ومن البديهى أن مساهمة المرأة فى هذه الحركة تعود عليها بالنفع الجزيل ، لأن المرأة المتعلمة فى استطاعتها أن ترشد أولى الأمر إلى كثير مما قد يغيب عن أفكارهم وأنظارهم فيما يختص بأحوال المرأة والطفل .

ومن الأعمال التى يجدر بالمرأة أن توليها عناية خاصة تعميم التعليم الإلزامى والإرشاد إلى تحسين برامجه لرفع مستواه لأنه على حالته الراهنة لا يعود بالفائدة المرجوة منـه ، وأن تسعى فى إصلاح حال البؤساء من الأيتام والمتشردين ، وأولئك الذين قست عليهم الطبيعة فحرمتهم نعمه التمتع ببعض حواسهم الرئيسية كالعمى والصمم ممن لهم على المجتمع مثل ما لغيرهم من حقوق العناية والرعاية ، وأى قلب أفسح من قلب المرأة يتسع لإيواء هؤلاء البؤساء ويحنو عليهم ويخفف من آلامهم ؟

إنه لمن المؤلم حقا أن يرى الإنسان فى الطرقات والشوارع أفواجا من الصغار المشردين رغم ما اتخذته الحكومة من تدابير لإيوائهم يتسولون أو يحتالون أو ينشلون معرضين أنفسهم لأخطار السيارات ومركبات الترام التى كثيرا ما تصدمهم صدمات تقتل بعضهم أو تخلف للبعض الآخر عاهات مستديمة فيتخذونها بعد ذلك وسيلة للتسول واسترحام القلوب ، وفى الليـل كم من هؤلاء البؤساء والبائسات يفترشون البطحاء ويلتحفون السماء فى الحر والبرد والمطر ، فأى قلب لا يرثى ولا يلين لهؤلاء المساكين الذين ألقت بهم الحياة جزافا بين أنياب البؤس والشقاء وأصبحوا عالة على المجتمع وحطة لكرامة الأمة ؟

وهناك مع الأسف غير هؤلاء المهملين آدميون مثلنا قابعون فى بيوتهم غير متسولين ولا مشردين يهملهم أهلهم وأولو الأمر منهم ، فهم يقاسون أنواع العذاب وآلام الوحدة دون أن يحس أحد بآلامهم أو يخفف من أحزانهم ، وأكثرهم يتوقون فى قرارة أنفسهم إلى قبس من نور العلم يضىء لهم سبل الحياة ويخرجهم من حالة الجمود التى يعيشون فيها ولكن لا معين لهم ولا

مشجع لأن ذويهم لا يهتمون بأمرهم بل يعتبرونهم عالة عليهم فيتركونهم فى البيوت كمية مهملة والحكومة لم تفكر بعد فى أنهم — هم أيضا — أبناء الوطن ولهم مثل ما لإخوانهم الأصحاء من حقوق عليها . أولئك هم الصم والبكم والعمى من أبناء الطبقة المتوسطة ومن هم دونها ، هؤلاء يرون إخوانهم الأصحاء يذهبون إلى المدارس أو يسعون فى الحياة العملية بينما هم موضوعون فى أماكنهم كما توضع الأشياء، وهذا بلا شك يترك أثره السيئ فى نفوسهم وفى صحتهم وأخلاقهم .

أعرف كثيرين يتألمون من حالة الركود التى يعيشون فيها و يتشوقون الى العلم فلا يجدون اليه سبيلا . و يشعر بعضهم بقدرة على العمل ولا يجد مشجعا عليه . وقد تقدمت الىّ أخيرا فتاة ضريرة على جانب كبير من الذكاء كانت تصغى الى أخيها الطالب وهو يستذكر دروسه فلما جاز امتحان البكالوريا كانت هى أيضا فى مرتبته من التعليم وكلما سعت بعد ذلك الى الاستزادة من العلم بمختلف الوسائل وقف أهلها حجر عثرة فى سبيلها ونقموا عليها لأنها تطلب أكثر مما تستحقه الضريرة فى عرفهم ، وكأنما هى التى أرادت لنفسها هذا العمى . وعرفت قبلها ضريرة أخرى بالاسكندرية كانت أكثر حظا من هذه إذ عنى أهلها بتعليمها وتحفيظها القرآن وسهلوا لها حضور الدروس الدينية فنبغت فيها وتبحرت فى الفقه وأصول الدين وصارت أستاذة يحضر دروسها كثير من طلاب العلم من الرجال . ولم تكتف بذلك بل دفعتها غريزتها الجنسية الى تعلم فن الحياكة والتفصيل وأشغال الإبرة (التريكو) فنبغت فيها نبوغا عجيبا. وكانت اذا أعجبها ثوب حاكت لنفسها مثله بعدما تتبين صنعه من طريق اللمس . ولم تصل بها درجة الاتقان الى ذلك فحسب بل جاوزتها الى حد الابتكار . فقد كانت تبتكر حروفا واصطلاحات تتذكر بها ما تخشى أن تنساه ولتكون مرجعا لها عند اللزوم . وكانت الى حين معرفتى بها تجهل طريقة (برای) لتعليم العمى وكم تأسفت لأنها أضاعت تلك المدة من حياتها دون أن تستفيد منها . ومما يجدر بالذكر أن هذه الفتاة الضريرة كانت تقوم بأود عائلتها مع أن لها أخوة مبصرين . وكم من نوابغ مثلها أهمل شأنهم ولو عنى بهم وفتحت أمامهم أبواب التعليم كما هو جار فى البلاد الراقية لتجلى نبوغهم وأستفادوا وأفادوا وأمكنهم أن يحيوا حياة سعيدة أو لا يكونون على الأقل عالة على أهلهم وذويهم .

إنه لمن المحزن حقا أن يهمل أولو الشأن أمر هذه الفئة التعسة من أبناء الوطن . وألا توجد فى مصر مدارس خاصة لتعليمهم — وعدد هؤلاء يربى على مائة ألف نفس — أليس من المخجل ألا يوجد فى مصر غير مدرستين لتعليم العميان و يقتصر فيهما تعليمهم على حرف يدوية لا تعود عليهم بفائدة تذكر ؟ بينما أمثالهم فى فرنسا وبلجيكا وغيرهما من الممالك الأوروبية يعلمون — علاوة على الصناعات — فن الموسيقى وطريقة اصلاح بعض آلاتها

كالبيانو، و يعلمون كذلك فن التدليك، هذا بخلاف الكتابة والقراءة و باقى العلوم التى تؤهلهم للتقدم الى الامتحانات بالجامعات لنيل الشهادات المختلفة ، وكذلك يعنون بتعليم الصم والبكم القراءة والكتابة والكلام . وقد رأيت من هؤلاء كثيرين يزاولون الحرف . رأيت منهم النجار والصناع والحلاقين وغيرهم بينما لا توجد فى بلادنا للصم والبكم سوى مدرسة صغيرة بالاسكندرية أسستها سيدة يونانية تسمى مدام (تسوتسو) . لقد هال هذه السيدة الفاضلة أمر هؤلاء المنكوبين ، وكانت قد درست طريقة تعليم الصم فدفعتها انسانيتها الى فتح هذه المدرسة الصغيرة فى رمل الاسكندرية . وأسمتها (دار الأمل) لإيواء عدد قليل من الصم بحسب ما تسمح لها ماليتها الضئيلة معتمدة على مساعدة بعض الخيرين من مواطنيها ومن المصريين وعلى ما تتقاضاه من أجر من أبناء الموسرين . وقد طلبت هذه المربية الفاضلة من أولى الشأن مساعدتها برعاية هذه البواة الصالحة ووضعها تحت إشراف الحكومة ومدها بالمساعدة الكافية ليتسنى لها قبول أكبر عدد ممكن من الصم ولتخصيص قسم فى المدرسة لتخريج فوج من المعلمين والمعلمات يتولون تعليم الصم فى المدارس التى قد تنشئها الحكومة فيما بعد . فياحبذا لو حققت حكومتنا الرشيدة هذه الأمنية وقام بعض المصلحين فى بلادنا وبالأخص سيداتنا المتعلمات بمساعدة هذا العمل الانسانى المفيد حتى يكون لهؤلاء البائسين نصيب فى الحياة .

فلقد بلغ من اهتمام حكومات البلاد المتمدينة بشأن أمثالهم أن أكثروا من مثل هذه المدارس فى بلادهم حتى صار يحيل للإنسان أنه لم يبق لهذه العاهات أثر فيها وأصبح الصم والعمى يتكلمون و يعملون . و بلغنى من سيدة نرويجية أن فى بلادها كثيرا ممن نكبتهم الطبيعة بالعمى والكساح علاوة على بكمهم من الصغر فكانوا كتلا من الجماد تنبض ولا تتحرك ولا تعى ، فدفعت الإنسانية المربين إلى استنباط طريقة لنجدتهم وفعلا وصلوا إلى تعليمهم بطريقة اللمس وبذلك أشعروهم بأنهم أحياء وأدخلوا على نفوسهم شيئا من السعادة والسرور . و إنه ليخيل إلىّ أن إسداء المعونة إلى أمثال هؤلاء التعساء وادخال السرور إلى نفوسهم لايقل شأنا عما تدخله السينمات والملاهى على نفوس سيداتنا من الغبطة والسرور بل نزيد .

إن الفكرة السائدة بأن المرأة التى تعمل فى الحياة الاجتماعية لا تستطيع أن تؤدى واجباتها المنزلية على الوجه الكامل هى فكرة خاطئة ، لأن أعمال البيت لا تستنفد وقت المرأة كله . وأستطيع أن أؤكد أن المرأة العاملة هى أكثر نشاطا وخبرة و إلماما بادارة منزلها من تلك القابعة وعقر دارها ، وأنها بذلك يمكنها أن تدير بيتها ادارة حسنة وتربى أولادها تربية صالحة وأن تنشر ألوية السعادة والرخاء على بيتها بتدعيم الأسرة وتوثيق عرى التضامن وروابط المحبة بين أفرادها وفى المحيط الذى تحيا فيه . كما تستطيع أن تجعل بيتها كامل النظام جميل التنسيق

متوافرة فيه أسباب الراحة والهدوء والطمأنينة، وأن تجعل منه المدرسة الأولى لأولادها اذا كانت أما والنادى المحبوب لبيتها وذويها والعش الهنيء لزوجها والمثل الأعلى فى النظام والإدارة والاقتصاد لأترابها. و إنها تبنى هذا النظام على احترام الواجب وعلى الثقة المتبادلة بين أفراد الأسرة لأنها تعرف قيمة الوقت ولا تبذر فيه . لذلك أعود فأحث كل سيدة متعلمة على أن تساهم ما استطاعت فى كل ناحية من نواحى الاصلاح القومى، المثرية منهن بمالها، والمتعلمة بعلمها، والأديبة بقلمها ولسانها، والعاملة بنشاطها . وليكن رائدها بنوع خاص القضاء على الأمية والنهوض بأخلاق النشء وتحسين حالة الفلاح الصحية والمادية وتشجيع الصناعات المحلية والمنتجات الوطنية بتفضيلها على غيرها وارشاد الصناع الى تحسينها والإكثار من شراء أسهمها ومحاربة الرذيلة ومناصرة الفضيلة والمحافظة على اللغة والقومية وشعائر الدين الحنيف .

وانى لأعتقد أن المرأة لو قامت بإصلاح بيتها وساهمت فى الاصلاحات الاجتماعية العامة لأدت لمصر ما تنتظره من كل سيدة متعلمة وأثبتت وجودها فى المجتمع وأقنعت الرجل بجدارتها وأهليتها لحقوقها السياسية . ومتى نالت هذه الحقوق تسنى لمصر أن تحلق بجناحيها فى سماء المجد والفخار ولكن لا لتلقى القنابل على البلاد الآمنة بل لتنشر ألوية الرحمة والسلام وتدعم أواصر المحبة والإخاء .

هدى شعراوى

٥

كرامة العلم والعلماء

حجّ هارون الرشيد ثم شخص بعد الحج إلى المدينة ، وأراد أن يسمع الحديث عن مالك ابن أنس فأرسل يستقدمه فقال مالك للرسول : " قل لأمير المؤمنين إن طالب العلم يسعى إليه أما العلم فلا يسعى إلى أحد . " وأذعن الخليفة وزار مالكا فى داره ولكنه أمر أن يخلى المجلس من الناس ، فأبى مالك إلا أن يظل الناس كما كانوا وقال: "إذا منع العلم عن العامة فلا خير فيه للخاصة " وأذعن الرشيد لرغبته مرة أخرى وسمح للناس بسماع الحديث .